

### ٣- رد العجز على الصدر

قال الشاعر (١):

ذوائب سود كالعناقيد أرسلت      فمن أجلها منها النفوس ذوائب  
نظرة عجلت إلى البيت ترى فيه كلمة قد تكررت بعينها من حيث اللفظ  
وهي كلمة ذوائب. ترى الأولى أولى كلمات البيت، والثانية وقعت آخر البيت.  
والكلمتان كما رأيت مختلفتا المعنى.

ومثل هذا الصنيع، يسميه البديعيون التصدير، أورد العجز على الصدر.  
ويأتي في النثر كما يأتي في الشعر.  
أما في النثر فتأتي إحدى الكلمتين في أول الفقرة، والثانية في آخرها.  
كقوله تعالى:

﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ  
مِنَ الْقَالِينَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾.  
وقولهم: عادات السادات عادات العادات. وقولهم: الحيلة ترك الحيلة.  
ومثله: الإيمان حصن الأمان.

أما في الشعر فيأتي على صور مختلفة على الوجه الآتي:

١- أن تأتي الكلمة الأولى في أول الشطر الأول من البيت، والثانية في آخر  
الشطر الثاني من البيت ومن أمثله البيت الذي صدرنا به الحديث عن هذا الفن.  
ومنه كذلك قول الشاعر:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه      وليس إلى داعي الندى يسريع

---

(١) هو أبو الحسن نصر المرغيناني. وذوائب الأولى جمع ذؤابة وهي الخصلة من الشعر،  
وذوائب الثانية جمع ذائبة. يعني أن خصل الشعر السوداء أذهبت رشد النفوس.

ومنه كذلك قول الآخر :

سكران : سكر هوى وسكر مدامة أنى يفيق فتى به سكران

٢- أن تأتي الكلمة الأولى فى حشو الشطر الأول والثانية فى آخر الشانى

أيضاً ومنه قول الحماسى :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار (١)

ومثله قول أبى تمام :

ولم يحفظ مضاع المجد شئ من الأشياء كالمال المضاع

٣- أن تأتي الكلمة الأولى فى آخر الشطر الأول ومنه قول الشاعر:

ومن كان بالبيض الكواعب مغرمًا فما زلت بالبيض القواضب مغرمًا

البيض الكواعب : الغوانى الفاتنات . والبيض القواضب السيوف . يقول .

من كان همه التمتع بالغانيات فإن همى حمل السيوف القواطع . والشاهد فى

مغرم ومغرم حيث وقعت الأولى آخر المصراع الأول والثانى آخر الشانى .

٤- أن تأتي الأولى فى صدر الشطر الشانى والثانية فى آخره وذلك كقول

الحماسى الشاعر المعروف :

وإن لم يكن إلا معرج ساعة قليلاً ، فأنى نافع لى قليلها

فقد وقع طرفا التصدير كلاهما فى المصراع الشانى من البيت على النحو

الذى تراه .

فى هذه الأمثلة ترى جميع الأطراف التى تكون منها التصدير - فيما عدا

البيت الأول - تراها متفقة فى المعنى . فهو تكرار للفظ فحسب .

والتصدير كما أتى فى الألفاظ المتحدة المعنى يأتى فى المختلفة المعنى مركبة

وغير مركبة على نفس المنهج الذى استقر . وإليك الأمثلة :

---

(١) العرار : النرجس البرى .

١- دعانى من ملاكما سفاها فداعى الشوق قبلكما دعانى

فقد أتى اللفظ الأول فى أول البيت والثانى فى آخره والمعنى فيهما مختلف لأن الأولى بمعنى اتركانى . والثانية بمعنى وجه لى دعوة . ونحوه قول الآخر:  
سل سبيلا فيها إلى راحة النفس براح كأنها سلسبيل (١) .  
فالطرف الأول هنا مركب، والثانى غير مركب .

٢- وإذا البلابل أفصحت بلغاتها

فانف البلابل باحتساء بلابل

البلابل الأولى الطيور المغردة مفردتها بلبل، والبلابل الثانية الأشجان مفردتها بلبال . وبلابل الأخيرة جمع بلبله وهى قناة الإبريق . والمراد منها الخمر مجازاً مرسلأ .

والتصدير فى البيت بين البلابل الأولى، وبلابل الأخيرة . وهى من الصورة الثانية لرد الإعجاز على الصدور فى الشعر . والمعنى إذا غردت الطيور وكنت مخزوناً فاطرح الأحزان بكأس من الخمر .

٣- فمشغوف بآيات المثانى

ومفتون برنات المثانى

المثانى الأولى : آيات القرآن . والمثانى الثانية الأوتار . فقد وقع التصد بكلمة فى آخر المصراع الأول وأخرى فى آخر الثانى وهى الصورة الثالثة .

٤- أملتهم ثم تأملتهم فلاح لى أن ليس فيهم فلاح (١)

وقع طرف التصدير الأول فى أول المصراع الثانى والثانى فى آخره . وهى الصورة الرابعة فى التصدير الشعرى .

---

(١) الراح : الخمر والسلسبيل الماء العذب .  
(٢) فلاح الأولى فظهر - والثانية بمعنى الفوز والنجاح .

وإلى هنا مضى لك التمثيل لنوعين هما إذا كان لفظا التصدير مكررين، أو متجانسين. وأنت خبير بأن المكرر معناه متحد، أما المتجانس فمعناه مختلف وإليك الآن التمثيل للملحق بالجناس على نفس النسق في السابقين:

١- قال البحترى :

ضرائب ابتدعها في السماح

فلسنا نرى لك فيها ضربيا (١)

٢- وقال امرئ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه

فليس على شيء سواه بخزان (٢)

٣- وقال عبد الله بن عيينة :

فدع الوعيد فيما وعيدك ضائري

أطنين أجنحة الذباب يضير (٣)

٤- وقال أبو تمام :

وقد كانت البيض القواضب في الوغى

بواتر فهي الآن من بعده بتر (٤)

إيضاح :

في هذه الأمثلة الأربعة تصدير بين لفظين ليسا مكررين ولا متجانسين بل ملحقان بالمتجانس إذ يجمعها أصل لغوي واحد وهما مختلفان في المعنى.

---

(١) ضرائب يعنى خلق وسجايا. وضربيا يعنى مثيلا.

(٢) يعنى إذا المرء لم يحفظ سر نفسه فلا تثق فيه.

(٣) الوعيد : التهديد بالشر. ضائري : مضرى. والاستفهام فى أطنين الكارى.

(٤) البيض القواضب : السيوف القواطع. بواتر قاطعة. بتر مقطوعة.

ففى المثال الأول وقعت ضرائب فى أول المصراع الأول . وضربيا فى آخر المصراع الثانى . وهذه الصورة الأولى فى كل تصدير .  
وفى المثال الثانى وقع يخزن فى حشو المصراع الأول . وخزان فى آخر المصراع الثانى وهذه هى الصورة الثانية فى كل تصدير .  
وفى المثال الثالث وقع ضائرى فى آخر المصراع الأول ويضير فى . المصراع الثانى . وهذه هى الصورة الثالثة فى كل تصدير .  
وفى المثال الرابع وقع بواتر فى صدر المصراع الثانى ، وبتر فى آخره وهذه هى الصورة الرابعة والأخيرة فى كل تصدير .  
ومن هذا نعلم أن صور التصدير ، أورد الأعجاز على الصدور اثنتا عشرة صورة .  
أربع منها مع اللفظ المكرر غير المتجانس . وأربع منها مع اللفظ المكرر المتجانس وأربع منها مع اللفظ المكرر الملحق بالمتجانس .  
هذا فى الشعر . أما فى النثر فليس له إلا صورة واحدة - كما تقدم - هى أن يقع اللفظ الأول فى صدر الفقرة ، واللفظ الثانى فى آخر الفقرة وقد تقدمت لك أمثلتها .

\* \* \*

## المحاكاة بين الشعراء

بدء الحياة الأدبية عند العرب قديم، فقد سبق ذلك عصر الإسلام بمراحل يصعب تحديدها على الباحثين. بل أن بعض مظاهر تلك الحياة الأدبية كالشعر لم يهتد البحث إلى رأى يقين فى ميلاده، فبينما يرى البعض أنه يرجع إلى ما قبل الإسلام بمائة وخمسين عاماً، أو مائتى عام<sup>(١)</sup>، يذهب البعض الآخر إلى أنه قديم يرجع تاريخه إلى تاريخ نطق اللغة العربية<sup>(٢)</sup>.

والقدر المسلم به أن دولة الشعر بمعناها الذى عرف بعد فى جزيرة العرب لم تكن معروفة قبل ظهور الشعارين: المهلهل بن ربيعة وامرئ القيس. فقد كان المعروف للعرب قبلهما أن يبلغ الشاعر منهم وضع أبيات دون السبعة. أما هما فقد خطوا بالشعر خطوات هائلة إلى الأمام ويكاد يستقر عند الباحثين أن المهلهل وامرئ القيس هما أول من قصد القصائد<sup>(٣)</sup>.

وزهير بن أبى سلمى وهو من فحول الشعراء الجاهليين يؤكد نظرية قدم الحياة الأدبية عند العرب، بما فى ذلك الشعر فيقول:

ما أَرانا نَقول إلا مَعاراً

أو مَعاداً من قولنا مَكروراً

زهير - إذن - يتشكك فى أصالة ما قاله هو وأضرابه من الشعراء، فهم لم يأتوا بمعنى مبتدع، ولا مخترع، وإنما سبيلهم فى ذلك سبيل المردد المكرر لما سبق قوله وإنشاده، سبيل اللاحق المستعير من السابق المتقدم.

ولم يقف قول زهير هذا فى الاستشهاد عند هذا الحد - قدم بدء الحياة

(١) الحيوان للجاحظ ج١ ص ١٩٠

(٢) المثل السائر لابن الأثير.

(٣) ضياء الدين ابن الأثير يقدم امرئ القيس على المهلهل بن ربيعة فى هذا الشأن - نفس

المصدر.

الأدبية عند العرب - بل هو شاهد - كذلك - على قضية أخرى أكثر خطورة وهي المسماة بـ: السرقات الشعرية. كما تنص على ذلك كتابات الأقدمين وهي التي عنونا لها بـ: المحاكاة بين الأدباء. مؤثرين الثاني على الأول لما في المحاكاة من لياقة بالأدب وفنونه والأدباء وذوقهم (١).

ولفحول الشعراء - غير زهير - نصوص أخرى صالحة للاستشهاد على القضيتين معاً (٢).

فهذا طرفة بن العبد يقول:

ولا أغير على الأشعار أسرقها

عنها غنيت ، وشر الناس من سرقا

ويقول الأعشى :

ككيف أنا وانتحال القوافي

بعد المشيب كفى ذلك عارا (٣)

فالشاعران ينفيان عن أنفسهما أنهما قد سطوا على أشعار لغيرهما ونسباها إليهما. بل هما فيما يقولان يصدران عن أصالة وابتكار وجدية. وهذا له دلالتان : أولاها. التسليم بأن الحياة الأدبية كانت زاخرة قبلهما. وثانيتهما. أن ظاهرة انتحال الشعر ونسبته إلى غير قائله كانت متفشية في عصرهما.

وإذا كان مولد هذا الانتحال هو العصر الجاهلي بشهادة الفحول من شعرائه. فإن امتداد الزمن به، قد زاده قوة وظهوراً وتفشياً. فعرف شيء منه في العصر

---

(١) يرجع الفضل في هذا إلى أستاذنا الدكتور عبد الرحمن عثمان انظر كتابه مذاهب النقد وقضاياه ص ٨٨.

(٢) هما قضيتا : قدم بدء الحياة الأدبية عند العرب، والمحاكاة بين الأدباء في النماذج الأدبية.

(٣) انتحال القوافي : أخذها عن الغير أو اختلاسها.

الإسلامى . وذاع أمره فى العصر الأموى الذى فشا فيه تقليد القدماء بشكل ملحوظ (١) .

أما العصر الغيباسى ، فلم يعد أمر المحاكاة من الظواهر التى تقبل النفى أو تحتاج فى إثباتها إلى دليل . ولم تقتصر المحاكاة فى هذا العصر على تقليد القدماء من الشعراء السابقين . بل أن المعاصرين كجرير والفرزدق كانوا يتهمون بعضهم بالسرقة من بعض .

قال جرير يتهم الفرزدق :

سيعلم من يكون أبوه فينا

ومن عرفت قصائده اجتلابا

وقال الفرزدق يتهم جرير بانتحال قصائده وانتسابها إليه :

أن استراقك يا جرير قصائدى

مثل ادعائك سوى أبىك تنقل (٢)

وينقل أبو هلال العسكري هذه القصة قال : ( وأخبرنا أبو أحمد قال قال أبو العيناء : سمعت أبا نواس يقول : والله ما أحسن الشماخ حيث يقول :

إذا بلغتنى وحملت رحلى

عراية فأشرقى بدم الوتين

هلا قال كما قال الفرزدق :

علام تلتفتين وأنت تحتى

وخير الناس كلهم أمامى

متى تردى الرصافة تستريحى

من التهجير والدبر الدوامى

وكان قول الشماخ عيباً عندى فلما سمعت قول الفرزدق تبعته فقلت :

---

(١) راجع فى هذا . الأغاني لأبى الفرج ح ٩ ص ١٢٣ و ١٢٤ ص ٣٥ والعمدة ح ٢ ص ١٩٢ و ٢٢٢ والمرشح للمزباني ص ١١٠ و ١٤١ . والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٩٢ .  
(٢) البيتان فى الموازنة للآمدى ص ٢١٤ ط . عيسى البابى الحلبي .

وإذا المطى بنا بلغن محمدا      فظهورهن على الرجال حرام  
قريننا من خير من طئ الحصى      فلهنا علينا حرمة وذمام  
قال . وتبع ذو الرمة الشماخ فقال :

إذا ابن موسى بلالا بلغته      فقام بفاس بين وصليك جازر (١)

فى هذه القصة ترى محاكاة فى اتجاهين متوازيين . فأبو نواس يعيب قول  
الشماخ الذى يقضى بهلاك فرسه إذا بلغته عرابة الأنصارى الذى هو محط أمل  
الشاعر :

ويستحسن قول الفرزدق لأنه يقضى بإراحة فرسه إذا بلغته مراده فكأنه  
جعل إراحته جزءاً حسناً لها على إسعافها له .

وقد راق هذا المعنى أبا نواس فنهج نهجه فحرم ظهور المطى على الرجال بعد  
أن بلغته خير من وطئ الحصى محمداً .

كما أن ذا الرمة أعجب بقول الشماخ فحذا حذوه ودعا إلى جزر فرسه بعد  
بلوغ المأمول .

فأنت ترى أمر المحاكاة - هنا - ظاهراً طرداً وعكساً وإن كان أبو هلال قد  
ساق القصة مساق الأخذ الحسن .

على أنه لم يلبث أن أخذ يورد أمثلة لقبح الأخذ مثل قول أبى تمام :

حن إلى الموت حتى ظن جاهله      بأنه حن مشتاقاً إلى وطن

ونبه أنه مأخوذ من قول فرواش بن خوط :

دنوت له بأبيض مشرفى      كما يدنو المصافح للعناق

ويورد اتفاق الفرزدق مع أبى نواس حيث يقول الأول :

تفاريق شيب فى الشباب لوامع      وما حسن ليل ليس فيه نجوم

(١) الصناعتين ص ١٥٨ - ١٥٩ ط الاستانة ١٣١٩هـ

كان بقايا ما عفا من حبايبها تفاريق شيب في سواد عذار<sup>(١)</sup>

والقاضي عني من عهد العزير لخرجاتي يلتمس العذر للمحاكين والمقلدين  
في العصر العباسي ومن يأتي بعدهم فيقول :

(ومنى اصفت علمت أن أهل عصرنا، ثم العصر الذي بعدنا أقرب فيه إلى  
المعذرة وأبعد عن المذمة، لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها وأتى على  
معظمها . وإنما يحصل على بقايا أما أن تكون قد تركت رغبة عنها، أو استهانة  
بها، أو لبعدها مطلقاً .. وتعذر الوصول إليها ..<sup>(٢)</sup>).

وتفشي هذه الظاهرة - ظاهرة المحاكاة - على هذا الشكل شد انتباه النقاد  
والبلاغيين إليها شداً قوياً، فوقفوا عندها طويلاً، وأدلى كل بدلوه في غمارها  
وقلبوا فيها القول على كل الوجوه . ترى ذلك واضحاً في كتاب الوساطة للقاضي  
الرجاني . والموازنة للآمدي . والصناعتين لأبي هلال، وأسرار البلاغة لعبد القاهر  
وغيرهم إذ لم يخل كتاب النقد إلا وفيه طرف - قل أو كثر - حول هذه الظاهرة  
فلما جاء الخطيب القزويني وضع تقسيماً دقيقاً لصور تلك المحاكاة والأخذ وبيان  
هذا التقسيم هو الذي يهمننا بالدرجة الأولى في هذا المجال . وإليك خلاصة أمينة  
لمنهج الخطيب في هذا التقسيم .

\* متى توجه للشاعر تهمة الأخذ والانتحال ؟:

ليس كل شاعر حاكي شعراً يعد أخذاً منه، ومنتحلاً عنه . بل هناك أمور  
هي قدر مشترك بين كل الشعراء كوصف الشجاع بالأسد . والسخي بالبحر  
والغيث، والبليد بالحمار والبهي بالشمس، والفتاة الجميلة بالقمر، واحمرار  
الخدود بالورد، والماكر بالثعلب، وسواد الشعر بالليل، والريق بالخمير، وصفاء

(١) المصدر نفسه ص ١٧٥ - ١٧٨ .

(٢) الموازنة ص ٢١٤ .

الأسنان باللؤلؤ والأقاح . وجمال العيون بالترجس، وأطراف الأنامل بالعمم، واعتدال القوام ( الرشاقة ) بغصن البان فهذه وما أشبهها مما اشترك فيه جميع الشعراء . وهذا الاشتراك يسميه الخطيب ومنه قبله عبد القاهر الجرجاني : الاتفاق فى عموم الفرض <sup>(١)</sup> . فلا يتهم شاعر فيه بأنه قلد أو انتحل أو سرق .

أما الاشتراك فى وجه الدلالة على الغرض كأن يصف شاعر فيتبع فى إثبات الوصف طريقة ومنهجاً لم يتفق إلا له، لأنه لا ينال إلا بفكر، ولا يصل إليه كل أحد <sup>(٢)</sup> فهذا يجوز أن يدعى فيه السبق والأخذ . وأن يقضى فيه بين قائلين بالتفاضل وأن يقارن بين قوليهما فيه .

ثم يقسم الخطيب الأخذ والسرقة بعد هذا التقديم إلى قسمين كبيرين وهما :

(أ) ظاهر . (ب) غير ظاهر .

وذكر ضابط الظاهر فقال هو : أن يؤخذ المعنى كله مع اللفظ كله أو بعضه، أو المعنى كله وحده .

أقسام الأخذ الظاهر وحكمه :

١- النسخ أو الانتحال : وضابطه أن يسطو شاعر على قول شاعر آخر فيأخذه بلفظه كله ومعناه كله . ومن ذلك ما حكى أن عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته      على طرف الهجران إن كان يعقل  
ويركب جد السيف من أن تضيئه      إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل  
فقال له معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا بكر . ولم يفارق عبد الله المجلس

(١) انظر أسرار البلاغة ص ٢٧١ والإيضاح ح-٢ ص ٤٠٢ .

(٢) قيدنا وجه الدلالة على الفرض بهذه القيود لإمكان توارد الخواطر فى وجه الدلالة الخالى منها . إذ يصح كالأشتراك فى عموم الغرض .

حتى دخل معن بن أوس المزني فأنشد شعراً فيه ما أنشده ابن الزبير. فالتفت معاوية إلى ابن الزبير قائلاً:

ألم تخبرني أنهما - يعني البيتين اللذين أنشدهما - لك. فقال ابن الزبير: المعنى لى واللفظ له. وبعد فهو أخى فى الرضاعة وأنا أحق بشعره؟! .  
وقد وقع مثل هذا بين زهير بن أبى سلمى وأوس حيث ورد بيت واحد فى قصيدتيهما، والبيت هو:

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخبنا

أصبت حليماً أو أصابك جاهل (١)

وقال الأبيرد اليربوعى يمدح :

فتى يشتري حسن الثناء بما له إذا ألسنة الشبهاء أعوزها القطر

وقال أبو نواس :

فتى يشتري حسن الثناء بما له ويعلم أن الدائرات تدور (٢)

أخذ أبو نواس شطر البيت الأول بلفظه ومعناه كما ترى ..

ويعد من النسخ والانتحال إذا بدل الآخذ كلمة من كلام السابق أو أكثر من كلمة بما يرادفها. ومن ذلك قول طرفة:

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجملد

فقد سطا على قول امرئ القيس وهو :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجملد

---

(١) الجهل والخبنا : السفه والفحش. ولا يمكن أن يكون البيت من توارد الخواطر بين الشعارين. فلا بد أن يكون أحدهما أخذ عن الآخر، أو هذا من صنع الرواة.  
(٢) السنة الشبهاء : المجذبة. والدائرات : صروف الدهر.

وكل ما فعله طرفه أن بدل كلمة (وتجمل) بمرادفها (وتجملد) لأن التجمل والتجملد بمعنى .

وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم  
أخذه الفرزدق فقال :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعرف  
فأبدل كلمة تعرف من كلمة تعلم .

لا شك أن النقاد حينما يعدون هذه النصوص وما جاء على شاكلتها انتحالاً وأخذاً وسرقة، لا شك أنهم صائبون فى الحكم . وقد رأيت أن ابن الزبير اعترف بذلك صراحة لمعاوية . لأن مثل هذا العمل يتنافى مع مبادئ الأمانة، ويسلب من النفوس معانى الثقة التى ينبغى أن يتمتع بها الأدباء .

أما موقف النقاد من هذا النوع بعد الحكم عليه بالانتحال والسرقة فهو الرفض . فكل من انتحل قول آخر فهو مردود والإنصاف أن ينسب القول المنتحل إلى قائله الذى هو أبو عذرتة، وليس للمنتحل فضل البتة .

٢- المسخ أو الإغارة : وضابطه أن يأخذ المعنى دون اللفظ أو مع بعض اللفظ وهو ثلاثة أضرب :

(أ) أن يكون الثانى أبلغ من الأول لاختصاصه بفضيلة . وهذا الضرب مقبول وممدوح ومثاله قول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

وفاز بالطيبات الفاتك اللهج (١)

أخذه سلم الخاسر فقال :

---

(١) الفاتك اللهج : الجرى الشجاع .

من راغب الناس مات غمماً وفاض باللذة الجسور

لأن بيت سلم أجمل صياغة وأخصر طريقاً وأقوى معنى .

(ب) أن يكون الثانى مثل الأول . وهنا فلا لوم على الثانى ولا فضل له وإنما الفضل للمتقدم . ومن ذلك قول بشار أيضاً :

يا قوم إننى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً  
أخذه ابن الشحنة الموصلى فقال :

وإنى امرئ أحببتكم لمكارم سمعت بها ، والأذن كالعين تعشق  
وقول أبى تمام :

لو حار مرتاد المنية لم يجد إلا الفراق على النفوس دليلاً  
أخذه أبو الطيب فقال :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سبلاً<sup>(١)</sup>

(ج) أن يكون الثانى دون الأول فى البلاغة . وهذا النوع مذموم ومردود كقول أبى تمام :

هيهات لا يلقى الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

أخذه أبو الطيب فقال :

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به ولقد يكون به الزمان بخيلاً<sup>(٢)</sup>

قال أبو الطيب : يكون . والأصل أن يقول ( كان ) فعديل عنها لاستقامة الوزن . ولذا كان بيته دون بيت أبى تمام .

٣- السلخ أو الإمام : وضابطه أن يكون المأخوذ هو المعنى وحده دون اللفظ . وهو ثلاثة أضرب كذلك :

(١) الشاعران يقولان : أن فراق الأحباب هو طريق تسرب الموت إلى النفوس .

(٢) يعنى أن الزمان تعلم السخاء من الممدوح فسخاً بوجوده بين الناس .

(أ) أن يكون الأول أبلغ من الثانى وذلك كقول بعض الأعراب يتغزل :  
وريحها أطيّب من طيبها      والطيّب فيه المسك والعنبر  
أخذه بشار فقال :

وإذا أدنيت منها بصلاً      غلب المسك على ريح البصل  
فالبون شاسع بين النصين الأول جعل ريح الفتاة أطيّب من المسك . والثانى  
جعل المسك الذى تطيّبت به أركى من البصل . مع ما فيه من مراعاة الذوق من  
إدناء البصل من فتاته <sup>(١)</sup> . وهذا النوع مردود بالطبع .

(ب) أن يتساوى الأول والثانى فى الفضل وحكمه أن الفضل فيه للسابق  
ولا مذمة أيضاً على اللاحق . ومنه قول أحدهم يرثى ابناً له قدمات :  
والصبر يحمّد فى المواطن كلها      إلا عليك فإنه مذموم  
أخذه أبو تمام فقال :

وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً      فأصبح يدعى حازماً حين يجزع  
ومنه قول ابن النطاح :  
كأنك عند الكر فى حومة الوغى  
تفر من الصف الذى من ورائكا  
أخذه أبو الطيب فقال :

فكأنه والظعن من قدامه      متخوف من خلفه أن يطعنا  
الشاعران كلاهما يصف الممدوح بالشجاعة والإقدام وهما متساويان فى  
الإجادة .

(ج) أن يكون الثانى أبلغ من الأول وهذا الضرب مقبول ومحمود . وذلك  
كقول البحترى :

تصد حياء أن تراك بأوجهه      أتى الذنب عاصيها فليم مطيعها

(١) راجع البلاغة التطبيقية ص ٣١٨ للدكتور أحمد موسى إبراهيم .

أخذه المتنبي فقال :

وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جارمه العقاب  
فبيت المتنبي أجمل سبكاً لتضمنه معنى قوله تعالى : ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ  
السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ فكانه مقتبس منه .

ومنه قول المعذل بن غيلان :

ولست بنظار إلى جانب الغنى إذا كانت العليا في جانب الفقر  
أخذه أبو تمام فقال :

يصد عن الدنيا إذا عن سؤدد ولو برزت في زى عذراء ناهد<sup>(١)</sup>

فقول أبي تمام أجمل لاحتوائه على مبالغة حسنة لا مقابل لها في قول ابن  
غيلان وهي : ولو برزت في زى عذراء ناهد . يعنى أنه عزوف عن الدنيا إذا  
تعارضت مع اكتساب المحامد مهما كان في الدنيا من مغريات .

وقال أبو تمام :

هو الصنع أن يعجل فخير وأن يرث فالريث في بعض المواضع انفع<sup>(٢)</sup>

أخذه أبو الطيب فقال :

ومن الخير بطء سبيك عنى أسرع السحب في المسير الجهام<sup>(٣)</sup>

وقد فضل النقاد بيت أبي الطيب لاشتماله على زيادة بيان حيث ذكر  
دعوى وأقام عليها الدليل . فقد ادعى أن بطء العطاء خير له ، لأنه عندما يجئ  
بعد البطء يكون أجزل . وكذلك فإن الجهام أسرع السحب سيراً لكنه لا نفع فيه .  
والسحاب المطر هو الذى يتباطأ فى سيره ففى البيت حسن تعليل كما ترى .

( ١ ) عذراء فتاة بكر ، ناهد ناتئة الثديين .

( ٢ ) هو : ضمير الشأن . يرث يتباطأ . يعنى هذا الصنع من الممدوح جميل أسرع أم أبطأ .

( ٣ ) السيب : العطاء . والجهام : السحاب الذى لا ماء فيه .

وإلى هنا ينتهي تقسيم الأخذ الظاهر ، مع التمثيل له . وبقي الأخذ غير الظاهر وهو على خمسة أنواع إليك هي مع التمثيل لها :

(أ) التشابه : وضابطه أن يتشابه معنياً الشاعرين السابق أو المتقدم ، واللاحق أو المتأخر . ومن ذلك قول الطرماح :

لقد زادني حباً لنفسى أننى      بغيض إلى كل امرئ غير طائل  
وقول أبي الطيب :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص      فهي الشهادة لى بأنى كامل  
فكل من الشاعرين مدح نفسه وذم غيره . لأن الشطر الأول من بيت الطرماح كالشطر الثانى من بيت أبي الطيب . والشطر الثانى عند الطرماح كالشطر الأول عند أبي الطيب .  
وقال جرير يهجو :

ولا يمنعك من أرب لحاهم      سواء ذو العمامة والخمار  
وقال أبو الطيب :

ومن فى كفه منهم قناة      كمن فى كفه منهم خضاب  
تشابه الشاعران لأن كلا منهما يسوى بين رجال المتحدث عنهم وبين نسائهم .

(ب) النقل . وضابطه أن ينقل الثانى معنى الأول إلى غير محله . ومن ذلك قول أبي عبادة البحترى :

سلبوا وأشرفت الدماء عليهم      محمرة فكأنهم لم يسلبوا (١)  
أخذ أبو الطيب هذا المعنى ونقله إلى غير موضعه الوارد فيه حيث نقله إلى السيف فقال :

---

(١) يقول أخذت منهم امتعتهم وعروا من ثيابهم وحلت الدماء محل الثياب فكأنهم لم يؤخذ منهم شيئاً .

يبس التجيع عليه وهو مجرد

عن غمده ، فكأتما هو مغمد

فجعل جفاف الدم على السيف كالغمد له . وسبق أن جعلها البحتري  
كالثياب للمسلوبين .

(ج) القلب : وضابطه أن يكون معنى الثانى نقيض معنى الأول كقول أبى  
الشيخ :

أجد الملامة فى هواك لذيدة حباً لذكرك فليلمنى اللوم

نقض المتنبي هذا المعنى فقال :

أحبه وأحب فيه ملامة أن الملامة فيه من أعدائه

أبو الشيخ تغنى بحب الملامة فى محبوبه . فجاء المتنبي وكره ذلك المحبوب  
عند أبى الشيخ . وهذا هو معنى القلب .

(د) ومنه أن يكون معنى الثانى اشمل من معنى الأول : قالوا ومن أمثلة  
هذا النوع قول جرير يمدح :

إذا غضبت عليك بنو تميم وجدت الناس كلهم غضابا

بزه أبو نواس بقوله :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد (١)

(هـ) ومنه أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه ما يحسنه . ومثاله قول الأفوه

الأودى :

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستمار (٢)

---

( ١ ) قول أبى نواس أشمل وأقوى لأن ما أثبتته لا ينازع فيه بخلاف مدعى جرير فمبناه  
المبالغة .

( ٢ ) تمار : تضعم .

مع قول أبي تمام :

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى  
أقامت مع الرايات حتى كأنها  
بعقبان طير في الدماء نواهل (١)

زاد أبو تمام فبين أن عقبان الطير تنهل فعلاً من الدماء . وإنها لازمت تحرك الجيش أينما سار ، حتى ليخيل للرائي أنها من الجيش . واستدرك فقال : إلا أنها لم تقاتل . فهذه الزيادة وهذا البسط في الفكرة دفع عن أبي تمام معرة المحاكاة . فصار كأنه ولد المعنى توليداً .

ويذيل الخطيب الحديث عن السرقات الشعرية بشرح الطريقة التي يعلم بها أن شاعراً قد احتذى أو أخذ من شاعر . ويضع أمام النقد قاعدة جديدة بالتقدير وهي أن الحكم بالانتحال والأخذ يجب أن يتناول في حیطة وعلى بصيرة . فلا تلقى التهم جزافاً لمجرد أن شاعرين اتفقا في معنى أو لفظ لجواز أن يكون هذا الاتفاق مرجعه إلى توارد الخواطر بين الشاعرين . وقد يكون نتيجة هذا التوارد الاتفاق في المضمون والصورة في كل الوجوه . ويسوق دليلاً على ذلك أن ابن ميادة أنشد لنفسه :

مفيد ومتلاف ، إذا ما أتيته تهلل وأهتز اهتزاز المهند

فقليل له : أين يذهب بك . هذا للحطيئة . فقال الآن علمت أني شاعر إذ وافقته على قوله ولم أسمعه .

وعلى هذا فينبغي على كل ناقد يتصدى لشيء من هذا أن يبنى حكمه على اليقين إذا ثبت لديه . وألا يأخذ بالظنة فتجئ أحكامه قلقة مرفوضة . ولم يكن هذا الأساس الذي ذكره الخطيب في إيضاحه إلا نتيجة إحياء لما

---

(١) عقبان الأولى تماثيل صغيرة توضع في أعلى الرايات . وعقبان الثانية طيور حقيقية تتبع المارك لتطعم من القتلى . ونواهل شوارب .

أقره السابقون في هذا المجال . بل يكاد يتفق مع القاضى عبد العزيز الجرجاني لفظاً ومعنى إذ يقول :

(ولهذا السبب 'حظر على نفسى ، ولا أرى لغيرى بت الحكم على شاعر بالسرقة ... إلا أنى إن وجدت فى شعره معانى كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها مأخوذاً لا أثبته بعينه، ومسروقاً لا يتميز لى من غيره (١) ) .

هذا . ومما يتفرع عن المحاكاة والانتحال بين الأدباء فنون أخرى يحسن بنا الإلمام بها لما لها من قيمة فى ميزان النقد والبلاغة . وتلك الفنون هى :  
الاقتباس - التضمين - العقد - الحل - التلميح . فإلى هناك والله يرعأك .

\* \* \*

### الاقتباس

القبس فى اللغة : الشعلة من النار . والاقتباس مصدر الفعل : اقتبس . ومعناه : استفاد أو استنار . وعلى كل فهذا اللفظ يتضمن أمرين : آخذ وهو المقتبس . ومأخوذ منه وهو المقتبس منه .

وخص البلاغيون الاقتباس بأن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو السنة الشريفة لا على أنه منه .

والصلة بين المعنى اللغوى والمعنى البلاغى ظاهرة لأن المقتبس لشيء منهما فى كلامه مستفيد بما اقتبسه . مستضى بذلك المقدار الذى وضعه فى كلامه من آيات القرآن أو أحاديث النبى عليه السلام والاقتباس بهذا المعنى وقع فى الشعر والنثر . فمن وقوعه فى الفعل قول الحماسى :

إذا رمت عنها سلوة قال شافع      من الحب ميعاد السلو المقابر  
ستبقى لها فى مضمرة القلب والحشا      سريرة ود يوم تبلى السرائر

(١) الوساطة ص ٢١٥ ط الحلبي .